ولو اطَّلعَ الله تعالى على ما هو محجوب عن إدراك العقول، لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب[1].

وعذاب القبر، وهو عذاب البَرْزَخ، ونعيمُه ينال مستحقه، سواء قبر أم لم يقبر، أكلته السباع أو احترق، حتى صار رماداً ونسف في الهواء...[2].

وما ورد عن النبي ﷺ من إجلاس الميت واختلاف أضلاعه ونحو ذلك فيجب أن يفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلوّ ولا تقصير...، لأن الدور ثلاث، لكل دار أحكام تخصها، وهي:

أ ـ دار الدنيا وأحكامها على الأبدان، والأرواح تبعاً لها.

ب ـ دار البرزخ وأحكامها على الأرواح، والأبدان تبعاً لها.

جـ ـ دار القرار وأحكامها على الأرواح والأبدان جميعاً[3].

أما كيفية وصول العذاب إلى مَن تفرقت أجزاؤه في التراب أو الهواء... فإن العذاب يسري في دار البرزخ على الروح والبدن تبع لها، وليس ببعيد على الله تعالى أن يجعل للروح تعلقاً بأجزاء البدن وإن تباعدت، واليوم نرى اللاسلكي والبث الإذاعي يصل إلى مختلف أنحاء العالم في لحظة واحدة، وكذلك الحال في الكهرباء إذ تصل إلى أماكن متباعدة في لحظة فتح الصمام المخصص للإيصال، وتصرف الروح أغرب وأعجب من هذا بكثير.

❋ ❋ ❋

البعث (المعاد الجسماني) والنشور

تعريفه:

البعث: هو أن يبعث الله تعالى الموتى من القبور، بأن يجمع أجزاءهم الأصلية، ويعيد الأرواح إليها.

والنُّشور: يرادف البعث في المعنى، يقال: نشر الميت: إذا عاش بعد الموت، وأنشره الله: أحياه.

---

(١) شرح العقيدة الطحاوية ٣٨٩ ـ ٣٩١، الروح ٦٤ ـ ٦٦.

(٢) الروح ٥٨.

(٣) نفسه ٦٢ ـ ٦٣.

الاختلاف فيه، وحكم الإيمان به:

وقد اختلفوا في المعاد على قولين:

الأول: نفاه الطبيعيون[1]، ذهاباً إلى أن الإنسان هو هذا الهيكل المحسوس، الذي يفنى بصورته وأعراضه فلا يعاد. وهم لم يروا بأعينهم ميتاً بُعث حياً، وحكى لهم ما جرى له بعد موته.

الثاني: أثبته الحكماء والمِلِّيُّون[2].

قال ابن قَيِّم الجَوْزية: مَعَاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى[3].

وقال الجلال الدَّوَّاني: المعاد الجسماني يجب الاعتقاد به، ويكفر منكره، وهو حق بإجماع أهل الملل الثلاث (أي المسلمون واليهود والنصارى)، وشهادة نصوص

---

(١) حكى القرآن الكريم عقيدة (الدَّهريين) أو (الطبيعيين) المتمثلة بإنكارهم الحساب والجنة والنار، فقال: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الجاثية: ٢٤].

وهؤلاء يرون بطلان الأديان كافة، وعدُّوها أوهاماً، فترتب على هذا ما يأتي:

١ ـ أنكروا أن الإنسان أشرف المخلوقات، بل هو أخس من البهائم خلقة، وأدنى منها فطرة. وما يَفتخر به من الصنائع، فإنما أخذه بالتقليد عن الحيوانات، فالنسيج أخذه من العنكبوت، والبناء من النحل، وإدخار القوت من النمل، والموسيقى من البلبل...

وأنكروا أن تكون أمة محمد ﷺ أشرف الأمم، فليست هي أَوْلى من غيرها بفضيلة أو مزية.

٢ ـ وأنكروا بعث الإنسان في اليوم الآخر، ليحاسَب على ما اقترف في الدنيا.

٣ ـ وأوجبوا إزالة الحياء والأمانة والصدق، وعرى الدين من التفريق بين الحلال والحرام. يقول أبيقور الدهري: إذا كان هذا شأن الإنسان من النقص عن الحيوانات فالأولى أن لا يغتر بأن في الآخرة ثواباً وعقاباً، ويحرم نفسه في هذه الدنيا من حظوظ اللذة، ويقيّد نفسه بأوهام الحلال والحرام، واللائق وغير اللائق، والحياء والصدق والأمانة، وغيرها من الأمور الوضعية التي تقيد بها الناس جهلاً ولم يتقيد بها الحيوان والبهم.

انظر مقدمة الشيخ محمد عبده لرسالة إبطال مذهب الدهريين للسيد جمال الدين الأفغاني، وذلك في كتاب (خاطرات جمال الدين الأفغاني الحسيني) ص٢٨٩ ـ ٢٩٢.

(٢) المقاصد وشرحه ٢/٢١٠ ـ ٢١١.

(٣) الروح لابن القيم ص٥٢ ولوامع الأنوار البهية ٢/١٥٧ نقلاً عنه.

القرآن في المواضع المتعددة، بحيث لا يقبل التأويل[1].

حيث توعد منكري البعث واليوم الآخر بالعذاب الأليم لكفرهم.

قال تعالى: ﴿۞ وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٥﴾﴾ [الرعد: ٥].

وقال سبحانه: ﴿مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ . . .﴾ [الإسراء: ٩٧ ـ ٩٩].

وقال ﷻ: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ ﴿٧٤﴾﴾ [المؤمنون: ٧٤][2].

ولكن اختلفوا في كيفيته:

أ ـ المعاد روحاني فقط وهو قول الفلاسفة، لأن البدن ينعدم بصوره وأعراضه، فلا يعاد، والنفس جوهر مجرد باقٍ لا سبيل إليه للفناء، فيعود إلى عالم المجردات بقطع التعلقات.

ب ـ المعاد جسماني فقط وهو قول جمهور المسلمين، لأن الروح جسم سارٍ في البدن سريان النار في الفحم والماء في الورد.

جـ ـ روحاني وجسماني معاً وهو قول الغَزالي والحَليمي والراغب وأبي زيد الدَّبوسي وهو رأي كثير من الصوفية والشيعة والكرَّامية وجمهور النصارى والتناسخية[3].

---

(١) حاشية الجلال الدواني على العقائد العَضُدية (المطبعة العثمانية ١٢١٦هـ) ج٢ ص٢٤٧، والكلنبوي عليه، ولوامع الأنوار ج٢ ص١٥٨ نقلاً عنه.

(٢) وانظر الآيات أيضاً: النحل ٦٠ والإسراء ٤٩ ـ ٥١ ومريم ٦٦ ـ ٦٨ والحج ٥ ـ ٦ والمؤمنون ٨١ ـ ٨٣ والنمل ٤ ـ ٥ و٦٦ ـ ٦٧ والجاثية ٢٤ والتغابن ٧.

(٣) شرح المقاصد ٢١١/٢ وذكر بعد ذلك: قال الإمام الرازي: إلا أن الفرق: أن المسلمين يقولون بحدوث الأرواح وردها إلى الأبدان لا في هذا العالم بل في الآخرة، والتناسخيّة، بقِدمها وردّها إليها في هذا العالم وينكرون الآخرة والجنة والنار، . . . والتناسخية إنما يكفرون لإنكارهم القيامة والجنة والنار، والنصارى لقولهم بالتثليث. وانظر: شرح المواقف للسيد الشريف ص٥٨٢.

أدلة وقوعه:

واستدل أهل الحق على أن المعاد الجسماني حق بالمنقول والمعقول. فمن المنقول:

١ ـ من الكتاب العزيز قوله تعالى:

أ ـ ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا﴾ [النحل: ٣٨].

ب ـ ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧].

جـ ـ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١٦]

د ـ ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ﴾ [يس: ٥١].

هـ ـ ﴿فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الإسراء: ٥١].

و ـ ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

ز ـ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

ح ـ ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَٰلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩].

ط ـ ﴿قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٨ ـ ٧٩][1].

فاحتج الله تعالى بالابداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، إذ كل عاقل يعلم ضرورياً أن من قدر على هذه قدر على هذه، وأنه لو كان عاجزاً عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز.

ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق وعلمه بتفاصيل خلقه أتبع ذلك بقوله: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩] فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته ومواده وصورته، فكذلك الثاني، فإذا كان تام العلم، كامل القدرة، كيف يتعذّر عليه أن يحيي العظام وهي رميم؟

ثم أكد الأمر بحجة ظاهرة تضمن جواباً عن سؤال ملحد ـ يقول: العظام إذا صارت رميماً عادت طبيعتها باردة يابسة، والحياة لا بد أن تكون مادتها حارة رطبة ـ بما يدل على أمر البعث: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ

---

(١) لوامع الأنوار البهية ٢/١٥٧ ـ ١٥٩.